Quarterly Research Journal of Arabic
ALOROOBA
العروبة
ISSN (Print): 2710-5172
ISSN (Online): 2710-5180

***Volume**: 4* ***Issue**: 1 (Jan – March 2023)*
Alorooba Research Journal
***ISSN (Print):** 2710-5172* ***ISSN (Online):** 2710-5180*
***HJRS**: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1021427#journal_result*
***Issue URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/issue/view/10*
***Article URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/47*

***Title**:* أعجب الرحلات في التاريخ لأنيس منصور (دراسة تحليلية)
The Most Amazing Journeys in The History by: Anis Mansour (An Analytical Study)

***Authors**:* ***Dr. Amin Ali** (PhD Arabic, NUML)*
E-mail: alimudassir1984@gmail.com
Orcid: https://orcid.org/0000-0001-7543-9489

***Dr. Rana Aman Ullah** (Assistant Prof. Department of Arabic – NUML)*
E-mail: raullah@numl.edu.pk
Orcid: https://orcid.org/0000-0001-9700-0143

***Indexation**: ISSN, DRJI, Euro Pub, Academia, Google Scholar, Asian Research Index, Index Copernicus International, index of urdu journals.*

***Citation**: Dr. Amin Ali, & Dr. Rana Aman Ullah. (2023). The Most Amazing Journeys in The History by: Anis Mansour (An Analytical Study): أعجب الرحلات في التاريخ لأنيس منصور (دراسة تحليلية). Alorooba Research Journal, 4(1), 1–28. Retrieved from https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/47*

***Published:** 2023-02-20*
***Publisher**: Alorooba Academic Services SMC-Private Limited Islamabad-Pakistan*

أعجب الرحلات في التاريخ لأنيس منصور (دراسة تحليلية)

The Most Amazing Journeys in The History by: Anis Mansour (An Analytical Study)

Dr. Amin Ali
PhD Arabic, NUML
E-mail: alimudassir1984@gmail.com Orcid: https://orcid.org/0000-0001-7543-9489

Dr. Rana Aman Ullah
Assistant Prof. Department of Arabic – NUML
E-mail: raullah@numl.edu.pk Orcid: https://orcid.org/0000-0001-9700-0143

Abstract

Since ancient times, man, regardless of gender, sect, or culture, has been interested in traveling in discovering the new world. Rather, the journey began from the beginning of the history of the first human being on earth. The journeys of the prophets are a rich part of human culture. The journey has made space for man a space of his thinking and culture. documenting his travels as an important part of the history of human experience, and this documentation has resulted in many books of poetry, stories, biography, geography and history. Anis Mansour is not the name of an ordinary writer or journalist, rather he was an encyclopedia in himself. He has contributions to different literary trends. His language is simple and easy. In his writings, he observes the viewer with special binoculars and summarizes them in a few lines; one of his advantages is to digest thousands of pages. The said book is a narrative journey summarizing trips in the past and present. A wonderful and interesting contribution that colors the biography, story, anecdote and the play. Anis Mansour mentioned the history of nations and shed light on the many historical and modern societies in one filed book for the people of the world. The titles of the book are very exciting and radiant, each page a lesson, history and biography in itself.

Keywords*: Anis Mansour, Travelogue, History, Arabic Litrature, Analytical study.*

المقدمة:

أدب الرحلة: قد اهتم الإنسان منذ القدم على اختلاف الجنس والمذهب والثقافة بالترحال في اكتشاف العالم الجديد، بل الرحلة بدأت من بداية تاريخ أول إنسان على وجه الأرض، فرحلات الأنبياء جزء ثري في ثقافة الإنسان، والرحلة قد جعلت للإنسان حيزا من تفكيره وثقافته، ومع مرور الزمن قام الإنسان بتوثيق أسفاره كجزء مهم من تاريخ التجربة الإنسانية، وقد نتج عن هذا التوثيق كتب عديدة من الأشعار والقصص والسيرة والجغرافيا

والتاريخ، فأدب الرحلة بمثابة دار واسعة لها أبواب مختلفة، تتضمن الألوان المختلفة، قد تظهر بلون التاريخ والجغرافيا والشعر، وقد تبدو بصبغة القصة والرواية والسيرة. فأدب الرحلة فن يعده بعض النقاد من (اليوميات)؛ وذلك لأن عناية الرحلة غالبا ما كانت تتصرف إلى تصوير ذواتهم –كأساس – بداخل المكان، مدققين في إثبات تاريخ اليوم والشهر ... في حرص ودقة. (١)

أنيس منصور:

ولد الأديب الأستاذ أنيس منصور في محافظة الدقهلية (مصر) في الثامن عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٢٤م، ورغم أنه من مواليد القرية لكنه لم يتأثر بحياتها كثيرا، ربما سبب ذلك هو الحياة المنغلقة التي كانت تفرضها الأم على أبنائها برغم أنهم كانوا أحد عشر شابا وهو كان أصغرهم، فأمه كانت هي المورد الوحيد لتجاربه في حياته حتى يقر بأنه قد تغير لديه كل شيء إلا كلام أمه الحنونة.(٢)

انتقل أنيس من حضن الأم إلى الكتّاب، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وتخرج من جامعة القاهرة في قسم الفلسفة، فاشتغل بالتدريس والصحافة معا؛ حتى ودع التدريس واشغل بالصحافة، وتولى رئاسة تحرير مجلة (الجيل الجديد) عام ١٩٦٠ م، ورئاسة تحرير مجلة (هي) عام ١٩٦٢ م، ومجلة (آخر ساعة) عام ١٩٧٠ م، ومجلة (أكتوبر) عام ١٩٧٦ م، ومجلة (العروة الوثقى) عام ١٩٨٠ م.(٣)

كان أنيس منصور ممن يرهقون أنفسهم في العمل إلى أقصى الحدود، لا يحب إضاعة الوقت فيما لا يفيد، وصنع بالقراءة والكتابة كل مجده وأمانه واستقراره المادي والنفسي – إن كان مثله يجد راحة أو استقراراً في ظل القلق الفطري الذي يتعب، والذي هو السبب الخفي وراء كل المتميزين – إلا أن للجدية حدودا، وللترويح ضرورة، وللبدن وللنفس حقوق، وهذا ما لا يلتفت إليه مَن لا يجدون استمتاعا قدر الذي يجدونه في العمل مثل أنيس منصور.(٤)

فأنيس منصور ليس اسم شخصية عادية بل كان موسوعة في ذاته، قد أسهم في مجالات مختلفة للأدب والفن، وترك لنا تراثا في أصناف الأدب وأنواع الفن، فكتبه ومؤلفاته

تتجاوز المائة والتسعين، منها: الترجمة الذاتية، والدراسات السياسية، والقصص، والمسرحيات المترجمة، والدراسات النفسية، والدراسات العلمية، والنقد الأدبي، والرحلات، والمسرحيات الكوميدية، والمسلسلات التلفيزيونية، وكتب المقالات، والترجمات القصصية، والترجمات الفلسفية.

رحلات أنيس منصور:

ولدتْ الرحلة في قلب وعقل أنيس منصور بولادته، ونمتْ بنمّوه، إلى أنْ أصبحتْ كلّ رحلة يقوم بها، ميلادٌ آخرٌ له، فيقول:

"إنّني أولد في هذه الرحلات، إنّني أنظر، وأنظر في جشعٍ وشراهةٍ".(٥)

لذا فلم يبخل على الرحلة بشيءٍ، فأعطاها كلَّ شيء، الصحة والمال والوقت، وقبل كل هذا نفسه وما يكمن فيها من رغبةٍ قويةٍ في السفر والترحال. ولم تبخل عليه الرحلة أيضاً بأيّ شيء ممكن، فأعطته المعرفة، ومنحته الجوائز، وطوقته الشهيرة الواسعة، وقبل كل هذا جعلت له مكاناً مرموقاً بين كتاب جِيله ومفكريه، يصفه قائلاً:

"حتى اتخذت لي مداراً فوق ما كنت أتصور".(٦)

ورحلات أنيس منصور طويلةٌ وكثيرةٌ ومتعددةٌ؛ لقد طاف معظم بلاد العالم، وسمع، وشاهد، ورأى، وتعامل مع معظم الأجناس البشرية. ثم عبَّر عن انطباعاته ومشاهداته، فكان من القلّة الّذين كتبوا في عمقٍ وروعةٍ عمّا رأوا في أدب الرحلات.(٧)

وإذا كان كاتب الرحلات الناجح هو الذي تتوفر له ألمعية الملاحظة، ورهافة الفطنة، وسرعة الالتقاط، والقدرة على استبانة الملامح والمعالم، وبخاصةٍ ما يدقّ منها على النظرة العابرة، وما يتصل منها بالعادات والسلوك والأوضاع الاجتماعية التي لا تخلو من غرابة؛ فكل هذه المؤهلات تستجمع للأستاذ أنيس منصور.(٨)

فمن أشهر رحلاته:

- حول العالم في ٢٠٠ يوم.

- غريب في بلاد غريبة.

وهذه الرحلة تتضمن أربعة رحلاته إلى أنحاء مختلفة وهي:

- بلاد الله خلق الله.
- أطيب تحياتي من موسكو.
- اليمن ذلك المجهول.
- أيام في الجزائر البيضاء.

- طلع البدر علينا.
- أنت في اليابان وبلاد أخرى.
- أعجب الرحلات في التاريخ.

سنلقي الضوء على رائعته (أعجب الرحلات في التاريخ) فيما يلي:

أعجب الرحلات في التاريخ:

يتضمن هذا الكتاب على أشهر الرحلات من التاريخ ومن العالم الحديث، فلخص الرحلات الشهيرة بأسلوب ممتع رائع، وقد ذكر في بدايته أنواعا ثلاثة للرحلات تحت عنوان (طيور غريبة على شجرة المسافرين) حيث يسطر:

"هناك ثلاثة أنواع للرحلات:

- أن تسافر..
- وأن تقرأ الكتب..
- وأن تقرأ كتب الرحلات!".[٩]

هذا الكتاب نموذج رائع لسردية الرحلة، حيث سرد الأستاذ أنيس منصور فيه الرحلات قديما وحديثا، ورغم أنه يستخدم العامية المصرية في كتاباته حسب مستوى القارئ وبمناسبة المجتمع المصري؛ لكنه أعرض في هذا الكتاب عن طريقته، فلخص الرحلات العربية والأجنبية

بلغة فصيحة سليمة فارغة عن الحشو والزوائد، يحتوي هذا الكتاب على ٥٣٢ صفحة، إضافة إلى صور رائعة للشخصيات والأماكن والأشياء في آخر الكتاب عددها ٢٥ صورة.[١٠]

العناوين المثيرة:

وينضم الكتاب ٥٥ عنواناً مثيراً، تجذب قلب القارئ، فأسلوبه ممتع سهل بسيط أثناء كل الكتاب، فها هي العناوين:

١. (طيور غريبة على شجرة المسافرين، ص: ٤).
٢. (وكان المصريون يطلقون طهورا من حجر، ص: ١١).
٣. (خرج ولم يعد أصغر وأعظم رجل، ص: ١٩).
٤. (نزيل فندق أبي الثناء زقاق القناديل، ص: ٢٩).
٥. (خيط الحرير الذي طوله عشرون سنة، ص: ٣٧).
٦. (تحفة النظار في غرائب الأبصار وعجائب الأسفار، ص: ٤٧).
٧. (ذهب يبحث عن الهند فوجد أمريكا أكبر غلطة، ص: ٥٥).
٨. (نبوءة تقول تكتشف أرضًا جديدة لا يلمسها أولادك، ص: ٦٥).
٩. (وبعدها أقسم ألا ينام على سريره، ص: ٧٣).
١٠. (الأفندية الأربعون والشيخ في باريس، ص: ٨١).
١١. (ثم حملوه على الأكتاف تسعة شهور، ص: ٨٩).
١٢. (العروس التي أحبت القطار حتى الموت، ص: ٩٩).
١٣. (يكسب في النهاية من عنده أرق!، ص: ١٠٧).
١٤. (ذهبت إلى الجنة وعادت تروي ما حدث، ص: ١١٥).
١٥. (تسعون يوما على ألواح خشبية بحثًا عن إله أبيض، ص: ١٢٣).
١٦. (الطبيب الذي قرر أن يعبر المحيط غريقا، ص: ١٣١).
١٧. (من هنا إلى ألفي مليون سنة، ص: ١٣٩).

١٨. (أمسكوا قداسته.. لقد سرق الذهب وهرب، ص: ١٤٩).

١٩. (حتى لا تكتب مذكراتك.. هذه هي الطريقة، ص: ١٥٧).

٢٠. (إلى القمر.. سيرًا على الأقدام، ص: ١٦٥).

٢١. (واحد لا يريد أن ينسى نفسه، ص: ١٧٥).

٢٢. (وفي الليل.. هرب آدم من حواء إلى الجنة، ص: ١٨٣).

٢٣. (تحت القنابل في الوحل.. على شواطئ جهنم، ص: ١٩٣).

٢٤. (الذين ينطحون السحاب وحيوانات أخرى، ص: ٢٠٥).

٢٥. (إذا لدغني البرغوت مات فأنا مسموم، ص: ٢١٣).

٢٦. (٧ رجال وبطة وقرد يبحثون عن مصر في أمريكا!، ص: ٢٢١).

٢٧. (أقزام يشربون الماء في بيض النعام، ص: ٢٣١).

٢٨. (من عينيها.. خرج آخر سباق دولي للقمح، ص: ٢٣٩).

٢٩. (١٥ألف ميل قطعها على ظهر حصان، ص: ٢٤٩).

٣٠. (لا تفتحي قلبك أيتها الشقراء لأنني سأحطمه!، ص: ٢٥٩).

٣١. (ظهره إلى حائط الصين يتفلسف، ص: ٢٦٥).

٣٢. (ولم تجد أحدا يصفق لها في النهاية، ص: ٢٧٥).

٣٣. (لو كانت في هذا العمر بقية، ص: ٢٨٣).

٣٤. (ثم راحت سنابل القمح تقطر دمًا، ص: ٢٨٩).

٣٥. (ثم مشت وراءه فتاة من حلب، ص: ٢٩٥).

٣٦. (كانت الملائكة تغني ونحن نغرق، ص: ٣٠٣).

٣٧. (رصاصة قتلت رجلين وأحيت امرأتين، ص: ٣١٢).

٣٨. (جائزة.. لمن يرسم طفلاً رضيعا، ص: ٣٢١).

٣٩. (كالسحاب تدفعه الريح في أي اتجاه، ص: ٣٢٩).

٤٠. (لو تزوج هذا الشاب حلاوتهم، ص: ٣٣٩).

٤١. (ليلة من نار في ذكرى والده، ص: ٣٤٧).

٤٢. (صفقة خاسر لم يبع رجلًا واحدًا!، ص: ٣٥٥).

٤٣. (يبحث عن مدينة رسمتها الرياح بالرمال، ص: ٣٦٣).

٤٤. (الرجال ينتقمون من أبنائهم أيضًا، ص: ٣٧١).

٤٥. (طعامهم البذور والجذور على جبل اليأس، ص: ٣٧٩).

٤٦. (وبذلك أصبح الطفل رجلا، ص: ٣٨٧).

٤٧. (ولم يأمن إلى واحد منهم..، ص: ٣٩٥).

٤٨. (صمغ الشباب تجمعه الأيدي الناعمة، ص: ٤٠٣).

٤٩. (مائة يوم يشربون الماء من رءوس السمك، ص: ٤١١).

٥٠. (المهرجان الذي دوخ الملوك والرؤساء، ص: ٤١٩).

٥١. (إلا المياه المعدنية.. وفساتين الإمبراطورة، ص: ٤٣٥).

٥٢. (الليلة الكبيرة في الخيمة الكبيرة، ص: ٤٤٩).

٥٣. (ينام الشعراء وتصحو البلابل، ص: ٤٦٥).

٥٤. (هنا منطقة انعدام الوزن ولكن تحت الأرض، ص: ٤٨٣).

٥٥. (منتهى الأفراح والليالي الملاح، ص: ٥٠٠). [١١]

فمن رقم الصفحة إلى نهاية الكتاب قد أدرج رحلته إلى إيران وكتب عن تاريخها وألوانها التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، وحتى كتب عن الأدب والشعر فيها. وكذلك تحت العنوان: (أمسكوا قداسته.. لقد سرق الذهب وهرب) لخص لقاءه مع إله التبت في زعمهم الدلاي لاما في رحلته الرائعة إلى الهند وبلاد أخرى (حول العالم في ٢٠٠ يوم).

وعندما ندقق النظر في العناوين فقط نجد أن العناوين لا تزيد عن عشرة صفحات إلا بعض منها، وهذا الاختصار والتلخيص ميزة من ميزات أسلوب أنيس منصور في رحلاته.

لعل أول رحالة معروف لدينا هو هيرودوت، وأول من كتب عن الفراعنة واحتفظ لنا التاريخ بكتابه هو (هيرودوت)، إلا أن أهمية العرض لرحلة هذا الرجل إلى مصر لا ترجع إلى ذلك وحسب، فالرجل كتب عن الفراعنة كتابة تعد أسوأ ما يمكن أن نلصقه بهؤلاء العظماء من أعاجيب ليست من التاريخ في شيء، ولولا انكشاف التاريخ الفرعوني تماما الآن ما أدركنا أن الرجل قد أخطأ وما درينا السبيل لتفسير أخطائه، ومن هنا جاءت أهمية التاريخ لرحلة هيرودوت إلى مصر في أحد العصور الفرعونية.

وبعد هيرودوت تأتي أهمية التاريخ لأشهر رحالة عربي وهو (ابن بطوطة)، لتحديد لأهم عناصر الإجادة والريادة عنده، ولنحدد أيضا سلبيات المحاولة وإن كانت لا تعيبه لتقدمه.

وهم أيضا أن نؤرخ لأشهر الرحالة الأوربيين على الإطلاق (ماركو بولو)، وهو إن لم يكن أول الرحالة الأوربيين ولا آخرهم، إلا أن شهرته التي طبقت الآفاق لا بد أن يكون لها أسباب.

ولعل أكثر الرحلات تكرارا في التاريخ هي رحلة المسلمين إلى أماكن الحج في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكانت قديما وخاصة عندما نخص بها حجاج المغرب الذين كانوا يقطعون الطريق برًّا، كانت مما يستحق الوصف والتتبع، ووصفها كثيرون من الرحالة، وكان واجبا لأجل كل ذلك أن نتوقف أمام أحدهم، ومن هنا توقف أنيس منصور عند تجربة (ابن جبير الأندلسي).

هذا وبدايات الأستاذ أنيس منصور في هذا النوع أيضا من الكتابة قصصية فنية، تبحث عن جوّ تشويقي مثير، نجده يبدأ الحكي عن هيرودوت ناسجا جوا مثيرا مدهشا أهم وأجمل ما فيه الغموض:

"حدث له هو أيضا ما حدث لمحمد علي الكبير عندما سقط في الماء، امتدت إليه أيدى البحارة ، وأنقذوه ثم أعادوه إلى الشاطئ فقد كان هاربا.

قالوا: هارب من ديون.

وقالوا: هارب من فضيحة أخلاقية.

وقالوا: بل من مؤامرة سياسية.

وعندما سئل بعض أقاربه أكدوا أنه مجنون، وأنه يحدث نفسه كثيرا وأنه يمشي أثناء النوم، ولذلك فعندما حاول الهرب من تركيا إلى أي مكان في العالم، كان طبيعيا أن يفعل ذلك، أليس مجنونا؟!

وهو في العشرين بين ركاب إحدى السفن تمارض في الأيام الأولى حتى لا يسألوه عن أي شيء إن كانت معه فلوس؟ أو كان مسافرا أو مهاجرا؟، أو حتى من هو؟ ولماذا ترك بلاده مع أنه ليس تاجرا ولا جنديا؟!، وكان هيرودوت يخاف على شيء تعلق في عنقه".(١٢)

وكان هذا الشيء بعد كل هذا التوتر والغموض الذى أثاره في الجو القصصي الكثيف، دواة هيرودوت وأقلامه!

وفي اختيار أنيس منصور لما يركز عليه، في عرضه لكتب الآخرين يظهر تحديدا اهتمامه بالنواحي الإنسانية فيما كتبوا، ويظهر أيضا اهتمامه بالغرائب والعجائب بصفة خاصة، فمما لفت نظره في ما كتبه هيرودوت عن مصر والمصريين تجد ما يوضحه قوله:

"ومن الغريب أن الناس يتحدثون بعضهم إلى بعض دون سابق معرفة، والمصريون كرماء، كل واحد يعطيك ما في يده وهو لا يعرف من أنت، وإنما يحس أن من الواجب أن يفعل ذلك، وإلا اعتبروه بخيلا، وهذه رذيلة كبرى".(١٣)

وتجده أيضا قوله:

"واندهش هيرودوت وهو يمشي فى شوارع المدن والقرى المصرية، البيوت منعزلة بعضها عن بعض، والمعابد كثيرة، والموسيقى تخرج من وراء كل باب ونافذة، وهناك انحلال شديد أو كما يقول هيرودوت: لم أكن أتصور أنه من الممكن أن يكون للإنسان حريات شخصية إلى هذه الدرجة!".(١٤)

فهذه أشكال لاهتمام أنيس بما يعد إنسانيا أو من الطباع البشرية. وأما عن اهتمامه بالغريب والعجيب فانظر مثالا له في قوله:

"يقول هيرودوت إنه ذهب إلى الأرض التي جرت عليها إحدى المعارك الحربية بين المصريين والفرس، ولاحظ أن جماجم الفرس قد وضعت في جانب، وجماجم المصريين في

الجانب الآخر، وأن جمجمة الجندي الفارسي هشة لدرجة أننا إذا ألقينا عليها حجرا ثقبها، أما جمجمة الجندي المصري، فيصعب أن نثقبها بحجر، وسأل هيرودوت رجال الدين: ما السبب؟ فقالوا: إن المصريين يحلقون رؤوسهم تماما، وتظل معرضة للشمس مدى الحياة، وهذا يجعلها أكثر صلابة، أما الفرس فيضعون العمائم على رؤوسهم".(١٥)

وإلى هنا لا تجد ما يشين إلا أن ما يشين وإن قل حجمه إلا إنه لمما يوجع ويطعن في أهم وأجمل ما نعتز به من تاريخ الفراعنة وملوكهم وآثارهم، ونجده يقول:

"ولسبب غير معروف هاجم هيرودوت الملك خوفو، أو على الأصح تأثر برأي الكهنة في هذا الملك، فهم يرون أنه ملك سافل منحط حقير، هذه كلمات هيرودوت أيضا، فهو الذي سخر الشعب فى بناء الهرم الأكبر، وأنفق ميزانية الدولة، ويقول هيرودوت إن من عادة المصريين أن يطلبوا إلى البنت أن تساعد والدها، أما الولد فليس مضطرا إلى ذلك، ولهذا كان من الطبيعي أن يطلب الملك خوفو إلى ابنته الجميلة أن تساعده، وتحيرت الفتاة ما الذي تصنعه، فأشار أبوها إلى جمالها وهو يقول: أليس لهذا الجسم الجميل ثمن؟ ثم تقدم الذين يريدون أن يدفعوا الثمن. وساعدت ابنة فرعون والدها".(١٦)

ويروى هيرودوت أن الهرم الأكبر معجزة في البناء، ويرى أن نقل الأحجار هو المعجزة، لذلك لا بد أن يكون الهرم قد بني أول الأمر على شكل مصطبة، ثم رفعوا إلى جوارها التراب، ومن التراب المرتفع كانوا يرفعون الأحجار مستخدمين آلات رافعة من الخشب، وقد بنى الهرم أكثر من مائة ألف عامل، وكانوا يعملون ثلاثة شهور كل سنة ولمدة عشرين عاما، أما الطريق الذي رصفه العمال ليدحرجوا عليه الأحجار فقد كان معجزة هندسية.

وعرف هيرودوت من الكهنة أن المهندس الذي بنى الهرم أراد أن يبين للأجيال القادمة كيف صنع العمال المصريون هذه المعجزة؟!، وأي نوع من الطعام كانوا يأكلون، فسجل كميات البصل والفجل والثوم التي استهلكها العمال، وبعملية حسابية بسيطة يمكن معرفة كم تكلف بناء الهرم الأكبر".(١٧)

وانظر أيضا قوله:

"إن خوفو أصابه الفقر في آخر أيامه، ولم يجد غير ابنته، وأعطت ابنته جسمها لأغنياء مصر، ودفعوا ورضي الأب، ولكن لسبب غريب أيضا أصرت الابنة أن تبني هرما صغيرا، وأن تكون أحجار هذا الهرم بعدد عشاقها، وعدد لعناتها على أبيها، أو لعنات الأجيال القادمة".(١٨)

ونجده كذلك قوله:

"أما الهرم الثالث فقد سمع هيرودوت من الكهنة أن له قصة أخرى، فقد أقامته الغانية (رادوبيس)، كانت غنية، وكانت تحرص على مالها وقد ساعدت في إقامة بعض المعابد في بلاد اليونان، ولما سأل هيرودوت عن مدى ثرائها، ثم عرف، استبعد أن تكون هذه الغانية هي التي أقامت الهرم الثالث؛ لأنه يتكلف أموالا لا يملكها فرد؛ بل تملكها دولة".(١٩)

هذا ويتضح مما سبق أن اهتمام الأستاذ منصور بالغرائب والعجائب – روايتها كان يجد لذة ما في إعادة صياغتها بأسلوبه، هو وحكيها وروايتها من جديد – كان اهتمامه بالغرائب والعجائب أكثر من أي شيء آخر، ولعل شيئا من حبه الفطري للقص وإثارته وتشويقه كان وراء هذا، وأيضا عمله بالصحافة إذ لا قيمة لخبر لم تتم صياغته بشكل مشوق يلفت الأنظار ويدعو الناس لشراء الجريدة .. ولعل هذا ما جعل كتابته عن الرحالة قبله ليست كتابة علمية، فالرجل أراد أن يقرأ في مجال يحبه، وأن يحكي لنا ما يمتعه فيما يقرأ، وبالفعل لقد استطاع أن يمتعنا، وأن يوفر علينا الكثير من الوقت، لكنه فيما يقدم ذلك كان يقدم لنا الرحالة أنيس منصور، وليس هيرودوت أو غيره ممن قدم لنا شيئا من رحلاتهم.

وإذا كان أهم ما أساء هيرودوت إلى الفراعنة فيه، هو الخاص بما كتبه عن عصر الملك خوفو وشخصيته وقصة بنائه هرمه الأكبر، فإن أنيس منصور على طريقة مسرحية متقدمة جدا، وضع فى البداية أساسا سيستند عليه في الإنهاء نهاية مفاجئة، تسمى في النهايات القصصية بـ: (نهاية الصدمة)، فبعد أن ينجح أنيس منصور في إقناعك بمصداقية قص فنية عالية جدا بصدق ما يرويه نقلا عن هيرودوت، يعود بك إلى أن الملك خوفو كان مكروها من

الكهنة، وهؤلاء الكهنة هم الذين قال فيهم هيرودوت في بداية كتابه أنهم أهم أساتذته على الإطلاق، ومن هنا تتكامل أطراف الدائرة وتستبين وتتضح، وإذا راجعت بالفعل أهم المراجع العلمية من حيث المصداقية العلمية فيما يخص تاريخ الفراعنة عامة،[٢٠] ستتأكد من أن الكهنة قد خدعوا هيرودوت في الكثير.

وعندما نتحدث عن ابن بطوطة فإننا نتحدث عن أشهر رحالة في العصور القديمة، وأكثر ما تأثر بهم أنيس منصور من الرحالة العرب، يظهر ذلك من اهتمامهما بالدرجة الأولى إذ يرتحلون بما يثير القراء ويجعلهم يتعجبون، كما إنهما يشتركان أيضا في القدرة على رواية هذه الغرائب بشكل مثير مدهش يجذب القارئ فلا يترك ما كتبت إلا وقد أتى على آخره.

وأنيس منصور يبدأ مع ابن بطوطة من البداية، من بداية الارتحال، يقول:

"كان في الثانية والعشرين من عمره عندما بدأ أطول رحلة قام بها الإنسان في العصور القديمة طولها ٧٥ ألف ميل ٢٩ عاما، تزوج فيها ٢٣ مرة وأنجب سبعين ولدا وبنتا.

ورحلات ابن بطوطة متعة حقيقية، فكلها حكايات ونوادر وخرافات سمعها وصدقها، أو لم يتسع وقته لكي يتحقق منها، ولكنه ينقلها دائما كما هي، فمثلا في مصر سمع عن رجل اسمه الشيخ جمال الدين بن الساوي من دمياط، جميل جدا، هامت به النساء، بعثت سيدة من دمياط بخادمتها تقول له: إنها تلقت خطابا من ابنها وتريده أن يقرأه لها. وحاول الشيخ، ثم طلبت إليه أن يفعل ذلك بالقرب من باب البيت حتى تسمع الأم صوته، وذهب الشيخ وتقدمت الخادمات وهجمن عليه، وكتفته السيدة، ولم يستطع الهرب، فطلب إليهن أن يدخل دورة المياه، وحلق لحيته وشاربه وشعره وحاجبه وخرج كأنه قرد، وهربت النساء منه!".[٢١]

"ويقول ابن بطوطة إنه فى الطريق إلى جزيرة سيلان عندما شاهد البحارة جزيرة صغيرة انزعجوا منها، فلم يكن ذلك في حسبانهم، وكانت الريح ترميهم على الجزيرة، وفجأة اكتشفوا أن هذه الجزيرة ليست إلا طائرا ضخما اسمه (الرخ)، ومن الغريب أن البحارة راحوا يصلون ويبكون، وكل واحد منهم ينذر الله تعالى أن يتصدق بكذا وكذا، والناس في حالة

من الفزع الرهيب، ولكن ابن بطوطة كان مشغولا بتسجيل المبالغ التي نذرها في البحارة!".[٢٢]

"وفي الهند رأى عجائب الدنيا، ولا تزال هذه العجائب تنتقل من القرن الرابع عشر حتى يومنا هذا، دون أن يناقشها أحد، فهو أول من وصف لنا الرجل الذي يرتفع تلقائيا فوق الأرض، ثم يرتفع حذاء إلى أعلى رأسه ويضربه، وينزل الرجل إلى الأرض.

وهو الذي يصف قصة الفيلة التي قتلت أصحابها، فقد حدث أن جماعة ذبحوا فيلا، وأكلوه وناموا، وجاءت الفيلة تشمشم فيهم ليلا، وتقتل كل من كان في فمه رائحة لحم الفيل، إلا رجلا واحدا، حملته الفيلة على ظهورها، وكان رجلا صالحا!

ويقول ابن بطوطة: إنه رأى فى جزر المالديف نساء لهن ثدي واحد!

وسمع عن شجرة تسقط منها ورقة واحدة كل سنة، في الخريف، هذه الورقة مكتوب عليها: (لا إله إلا الله) وينتظرها الناس كل سنة، ويقتسمونها مع السلطان، ونصفها يكفي لعلاج الناس جميعا!".[٢٣]

وإذا كان ابن بطوطة كمؤرخ محدود القيمة، إلا أنه كرحالة متقدمٌ جدا، وخاصة في اهتمامه بالمجتمع غير الرسمي الذى لا يصور مؤرخو النظم السياسية وقائع ودقائق حركته مع ما لها من دلالات شديدة الأهمية.

يقول أنيس منصور:

"وقصص أخرى ونوادر كثيرة، الواحدة بعد الأخرى فى مئات الصفحات، فرحلة ابن بطوطة رحلة في عادات الناس وتقاليدهم، وهو يصف لك الطعام وكيف يصنعونه، والشراب كيف يعصرونه ..".[٢٤]

أما عن كيفية وصول رحلات ابن بطوطة ومغامراته إلينا، فيقول الكاتب:

"وعندما عاد ابن بطوطة من هذه الرحلات الطويلة كان يجلس إلى الناس، ويحكي لهم ما رأى، وخاف السلطان (أبو عنان) – من أمراء بني مدين – أن تضيع هذه النوادر، فطلب إلى ابن بطوطة أن يمليها، وأتى له بكاتب اسمه ابن جزي الكلبي، وأملاها عليه، وانتشرت بعنوان (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)".[٢٥]

وفي حكايته عن ماركو بولو الرحالة الإيطالي الشهير يهتم الأستاذ أنيس منصور لأول مرة بوصل الأخبار بعضها ببعض فيما يشبه التحقيق التاريخي، لكنه لا يوثق هذا وإنما يعتمد على الذاكرة وحسب مما لا ينقل عمله بأي حال إلى مصاف الأعمال العلمية، ويظل عملا صحفيا سريعا مسليا يلفت النظر إلى ما يتكلم عنه أكثر من إعطاء مصداقية علمية لما يحتويه، فتقييم المادة المروية تقييما علميا يستلزم الوقت الذي لم يكن موجودا عند الأستاذ أنيس إلا للأعمال السريعة، ويستلزم الكثير من الجهد.

ومما نتوقف أمامه في صدد هذا النوع السريع من المقارنة والتحقيق الذي تعود قيمته إلى الربط بين الأحداث، وليس التقييم العلمي التوثيقي الصحيح، نتوقف أمام قوله:

"الأوروبيون بعد ذلك معذورون عندما لم يصدقوا كل ما رواه ماركو بولو، فهو يحدثهم عن أشياء عجيبة، ولذلك أطلقوا عليه اسم (ماركو المليونير) أي: ماركو صاحب المليون حكاية. فقد حدثهم عن استخدام العفاريت في تحريك أدوات الطعام، لأنه رأى بعيده كيف أن الأطباق والأكواب تطير دون أن يلمسها أحد، ورأى قطع الشطرنج تتحرك ويطرد بعضها بعضا دون أن يقترب منها أحد، ورأى الأطباق الفارغة تمتلئ ثم تقترب من يدى الخاقان (حدث في أيام شارل التاسع فى فرنسا أن جاء الساحر (سيزار ماليتسو) وحرك الأطباق الموجودة على المائدة دون أن يمسها)، وبعد ماركو بسبعين عاما روى لنا ابن بطوطة في رحلته: كيف أنه رأى رجلا مرفوعا فى الهواء، وكيف أنه رأى حبلا مرفوعا في الهواء، وكيف أن طفلا تسلق هذا الحبل هاربا من أبيه، وكيف أن الأب طارده ومعه السكين، واختفى الاثنان، وتساقطت ذراعا الطفل وساقاه، وأخيرا رأسه وهو ينزف دما، ثم نزل الأب وجمع هذه الأطراف وغطاها ونهض الطفل".[٢٦]

وانظر قوله أيضا:

"وأعجب جدا بنظام البريد في الصين، وكيف أنهم يستخدمون الخيول لمسافة معينة ثم يغيرون الخيول وهكذا – وكيف أنهم استخدموا الحمام الزاجل أيضا، (وإن التاريخ يؤكد لنا أن العرب هم أول من استخدم الحمام الزاجل بدلا من الطائرات في كل شيء) ومن أشهر حوادث التاريخ أن الخليفة العزيز قد طلب إلى الوزير الأكبر في بعلبك أن يبعث له

بعض حبات الكرز، فأتى الوزير بحبات الكرز ووضع كل حبة في كيس من الحرير، وعلقه في ساق حمامة من الحمام الزاجل، وأرسل الخايفة صريا يضم ٦٠٠ حمامة، وفوجئ الخليفة قبل أن يتناول طعام العشاء بأن الفاكهة قد وصلت من لبنان!".(٢٧)

وانظر كذلك قوله:

"ومن عجائب الدنيا التي اندهش لها ماركو – ولو لم يفهمها – العملات الورقية، كيف يبيع الإنسان الذهب مقابل هذه الأوراق؟ أو كيف تشتري بها أي شيء؟ وعلى الرغم من أن ماركو بولو من أسرة من التجار الناجحين، فإن عقله لم يستطع أن يفهم معنى الأوراق المالية وأنها تعهدات بالدفع، وهو معذور؛ لأن هذه العملات لم تكن مستخدمة في أوروبا في ذلك الوقت، وإن كان الإمبراطور فريدريش (الثاني) قد استخدم عملات من الجلد".(٢٨)

وعندما ننتقل إلى ما يكتب عن الرحالة المغربي أبى الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي صاحب كتاب رسالة: (اعتبار الناسك، في ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، هذا الكتاب الذى جعل صاحبه مهمته الأساسية، وربما الوحيدة أيضا أن يتحدث عن رحلته لإتمام مناسك الحج إلى الأراضي المقدسة بالحجاز .. عندما يعرض الأستاذ أنيس لهذا الرحالة وكتابه لا يلفت نظره فيه إلا ما يضحك، وأحيانا يكون هذا الذي يضحك آتيا من شخصية الرجل وطبيعة رحلته الدينية، وأحيانا يكون الإضحاك آتيا من شيء رآه ووصفه، فمما يأتي من طبيعة شخصية الرحالة وطبيعة رحلته ما يرويه قائلا:

"كان ابن جبير يطبق عينيه كثيرا حتى لا يرى ما يؤذي إيمانه، حتى إنه عندما رأى زفافا في الشام ضبط نفسه معجبا بمشية العروس فاستعاذ بالله من الفتنة، وأغمض عينيه، ولم يكمل وصف الزفاف.. وعندما كان فى مكة سمع عن أميرة من الأميرات أنها تخرج ليلا، وقال الناس: لابد أنها قد غضبت مع زوجها وراحت تبحث عن غيره. وقال آخرون: بل ذهبت تتصدق على الفقراء. استعاذ ابن جبير من سوء الظن، ولم يكمل سماع قصة الأميرة من أحد".(٢٩)

ومما يضحك فيما يرويه الرجل هذا المشهد الذي اختاره أنيس من ممارسات أهل اليمن في أثناء أداء شعائر الحج من طقوسٍ ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، لكنها كانت موجودة وتُمارس في عصر المؤلف؛ بسبب انتشار الجهالة والأمية وتداخل الخرافات مع مفهومهم للدين والعبادات خاصة، فيقول:

"ورغم انشغال ابن جبير بالأماكن المقدسة، وبالنظر إلى الناس والاستماع إلى كل ما يقال حوله فإنه انفجر ضاحكا، وذلك عندما جاء الوفد اليمني لأداء العمرة، فهم يأتون إلى هذه البلاد يبيعون ما معهم من طعام ويشترون به الملابس، لأنهم يجيئون عراة، ويصفهم ابن جبير فيقول:

"عرب صرحاء فصحاء حفاة أصحاء، لم تسدهم الرقة الحضارية، ولا هذبتهم السير المدنية، ولا سددت مقاصدهم السنن الشرعية، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية".(٣٠)

فهم يشدون أنفسهم بسلسلة واحدة حول الكعبة، فإذا تعثر واحد منهم سقط الباقون فوقه، وإذا التفوا حول الكعبة واستلموا الحجر الأسود، فلن يستطيع إنسان أن يقترب من الكعبة ولا من الحجر، وهم لا يحسنون الصلاة، بل إنهم يسجدون دون ركوع، وإذا سجدوا فهم ينقرون الأرض، ثم يرفعون رءوسهم، ويتكلمون أثناء الصلاة، ثم يعاودون السلام، ولكنهم يبكون فتتمزق القلوب لما يقولون، ويقال إن النبي ﷺ قال: علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء. وقال أيضا: الإيمان يمان. أي: الإيمان في اليمن".(٣١)

والبداية في رحلة الإسكندر أو رحلات الإسكندر أو هي الرحلة مع الإسكندر على الوجه الأدق تجد البداية فيها بالعنوان الأدبي المشوق (خرج، ولم يعد)، ثم تأتي البداية، وهي بداية أجيد صناعتها كبداية درامية على أعلى مستوى من حيث فنيات البداية والدرامية النموذجية:

"يقال: إن الإسكندر الأكبر سأل الفيلسوف العاشر: هل رأيت أعظم مني؟

ويقال: إن الفيلسوف العاشر قد فكر لحظة، ثم قال: أنت أعظم إنسان في بلادك.

ولكن الإسكندر كان يعتقد أنه أعظم قائد في كل العصور.

رفض أن يحدثه إنسان في شيء وقواته تعبر (الدردنيل)، في سفن، وعلى ظهر الخيول، ثلاثون ألف جندي وأربعة آلاف حصان، وألوف يحملون الرماح التي طولها ١٨ قدما، ومئات من المهندسين، وعشرات من الفلاسفة، وعشرات من السكرتارية، وأربعة آلاف جندي من الحرس الخاص، ونساء وأطفال يمشون وراء هذه القوات أو وراء الشاب العظيم المغامر، ولم يخطر على بال هذا الشاب أنه ذهاب بلا عودة، فلن يرى الإسكندر أرضه حيا بعد اليوم".(٣٢)

ولا يهتم أنيس منصور إذا ما كان ما يرويه حقيقة أو خيالا فالمهم هو جو الإثارة، إن وجهة نظر أنيس منصور الجديدة بالفعل؛ أن ليس كل من لم يكتب رحلته ليس برحالة، وليس كل من لم يكن الارتحال غايته وهدفه الأول ليس برحالة، بل إن كل هؤلاء رحلوا، وإن كان الارتحال عندهم وسيلة لا غاية إلا أن في ارتحالهم ما يستحق الوقوف عنده، فإن لم يكونوا قد فعلوا فليفعل هو، وهذا ما صنعه في التاريخ لرحيل (الإسكندر الأكبر)، كقائد يرحل لكي ينشر الحضارة والعمار.. ثم على العكس تماما (هنيبال)، السفاح الذي يرحل تحقيقا لعدد لا ينتهي من المذابح، وهذا ليس إلا لتحقيق مجد شخصي وقومي، لم يكن ضرورة حيوية في يوم من الأيام، وكان أولى به أن يوفر ذكاءه الرهيب وجهوده، وجهود كل من كانوا معه ويعدون بالملايين لشيء يفيد البشر من قومه، ومن غير قومه.

وإذا كنا نتعجب من هانيبال، فهناك من كان أكثر سوءا وإن لم يكن له نفس العدد من الضحايا، ولننظر على سبيل المثال لرحلة أحد تجار الرقيق لخطف إخوانه من بني آدم، فقط لمجرد اختلاف لون بشرتهم، وذلك لاستعبادهم في أماكن أخرى وبيعهم كالحيوانات إن لم يكن أدنى.. إنها رحلة تكررت كثيرا في التاريخ القديم، وواجب تسجيلها للعظة والاعتبار كمثال لما يمكن أن يفعله الإنسان من شر بأخيه الإنسان.

اختار أنيس منصور شخصية الإسكندر الأكبر، والحديث تجده بين التأريخ للشخص، والتأريخ للرحلة، في سيرة قصصية سريعة اللقطات، وهذه اللقطات تأتي مركزة مكثفة لأهم المشاهد في حياة الإسكندر، ولأهم ملامح ومظاهر الحكمة التي اتصف واشتهر بها، فأنت لا

تجد وصفا تاريخيا ولا جغرافيا للبلاد التي مر بها الإسكندر، ولا لعادات أهلها وطقوس حياتهم وممارساتهم الطبيعية وغير المألوفة أيضا لدقائق وتفاصيل الحياة – مما يهتم به الرحالة عادة–.

والذي توفره الحكايات أي الرحلات، وأجملها في ذلك ما كان خرافيا خياليا من مثل:

"وفي إحدى الليالي سمع الإسكندر صوتا يناديه في أعماقه ونهض وسأل حبيبته (تاييس) إن كانت هي التى نادته، ولكنه وجدها نائمة، تتقلب .. ثم طلب المزيد من النبيذ والقبلات، وخرج الإسكندر من خيمته ليسأل إن كان أحد قد ناداه، ثم عاد يسمع الصوت يطلب إليه أن يذهب إلى واحة (سيوه)، وأن يزور معبد الإله (آمون)، وسار الإسكندر مع أتباعه على شاطئ البحر، ثم نزل إلى الجنوب على حدود (ليبيا)، وكان يخاف من الرياح الرملية ومن العطش، ولكن الإسكندر آمن بأنه ابن الآلهة، وأن هذا الصوت الذي ناداه لا يمكن أن يكون شيطانا، وترك الخيول وركب الجمال، وسار في نفس الطريق الذى ملك فيه جيش (قمبيز) قبل ذلك، ثلاثون ألفا من قوات الفرس دفنت في الصحراء، ولكن الغربان كانت تقوده، فإذا أخطأ في الاتجاه راحت الغربان تنعق، فإذا ضل أحد رجاله تصايحت الغربان حتى يعود إلى الطريق السليم.

وفي معبد (آمون) سمع الإسكندر من الكهنة أن الإله يريد أن يراه على حدة، ودخل الإسكندر، واقترب، وسأل الإله: إن كان الذين قتلوا قد لقوا ما يستحقون من عقاب، ورد الإله: نعم، كلهم!".(٣٣)

وأنيس يحب أيضا الحكمة والمواقف الإنسانية، ويحب أن يرويها، ويعيد صياغتها فنيا كما يراها، وكأنه بالفعل قد رآها وهي تحدث، يساعده خيال المبدع، وموهبة القاص الخبير :

"وقبل أن يذهب الإسكندر إلى حمامه قال له أحد الضباط: مولاي، الوقت مناسب للهجوم على الملك دارا، ليلا. وكان رد الإسكندر: أيها القائد العظيم! إن الإسكندر لا يسرق النصر، إننى سوف أهزمه نهارا، سوف أجعله يرى نفسه منهارا، ويراني منتصرا".(٣٤)

ومن أكثر رحلات التاريخ إثارة هذه الرحلة التي قام بها هانيبال إلى إسبانيا، وأنيس منصور يتعرض لها ضمن أعجب الرحلات في التاريخ، ويبدأ بداية قاص متمكن، بداية مثيرة فيها غموض وتشويق:

"رغبة متواضعة قالها طفل صغير لوالده القائد الكبير ولكن الأب مشغول بشيء آخر، وفجأة قرر الأب أن يجيبه إلى طلبه، وأخذ ابنه إلى معبد الإله (بعل)، وطلب من الكاهنة أن تحرق البخور، وتنفخ في المزامير، ثم تقدم وابنه وراءه وهو يقول: ستسافر إلى إسبانيا، ولكن بشرط. وقال الابن الصغير: أوافق على الشرط. وبسرعة قال الأب: أن تقسم بالإله أن تطارد الرومان في كل مكان، في البر والبحر!

أما الأب فهو قائد كبير لقوات (قرطاجة)، وكانوا يلقبونه بـ (البرق)، ويسمون ابنه الصغير (الرعد) .. وبرحلة هانيبال إلى إسبانيا تبدأ رحلة أعظم كاره عرفه التاريخ، فلم يحدث أن نذر إنسان نفسه لكراهية الرومان ومحاربتهم ما دام حيا، فقد استولت روما على كل ممتلكات قرطاجة في البحر المتوسط، وانتزعت منهم جزر كورسيكا وصقلية وسردينيا، ثم سحبت منهم السفن التجارية أيضا، ولكن ما تزال روما تغار من قرطاجة التي كانت تفخر في يوم من الأيام بأنه لا يستطيع أي روماني أن يغسل يديه في البحر الأبيض دون إذن مكتوب!

وعلى الجندي الصغير هانيبال أن ينتقم لأهله من هؤلاء الرومان، وأن يعيد لهم ما أخذه الرومان، وأن يقيم قرطاجة على العرش الذهبي الذي تملكته مئات السنين".(٣٥)

وعلى الرغم من أن أنيس منصور لم نعهد عنه أنه كتب (سيناريو) أحد الأفلام مرة، ولا نعرف له صبرا على تنقيح وتجويد كتابة مما يستلزمها هذا الفن، إلا إنه هنا يبدأ القص على طريقة (البداية من النهاية)، ثم رواية القصة استرجاعا كما يحدث في السينما ذات التقنية الفنية الحديثة جلبا للإثارة ووصلا للحاضر بجذوره من الماضي:

"وتمضي السنوات وهانيبال يعيش فى المعسكرات، ومن مفاخر هانيبال أنه لم ينم في بيت قط، وإنما عاش فى القلاع والخيام طول حياته، ولما قتل زوج أخته واسمه الأسد أو (الأسد رئبال) تولى هو قيادة الجيوش، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، ولم يستطع

قائد في تاريخ الحروب أن يجمع هذا العدد الهائل من الجنود من لغات وألوان مختلفة، كما فعل هانيبال، لقد حشد تسعين ألفا من المشاة، وعشرين ألفا من الفرسان، وثلاثين فيلا، وفي نفس الوقت كان يعقد المعاهدات مع القبائل المجاورة في فرنسا وفي إسبانيا، وترك لأخيه واسمه (الأسد) حامية في المؤخرة.

وفي شتاء (٢١٩ ق . م)، قرر هانيبال أن يتحرك، وعاد إليه الجواسيس الذين برع في إخفائهم، يؤكدون له أن الرومان لا يعرفون وجهة جيشه، ولكي يخفي خطته احتل هانيبال إحدى المدن الإسبانية ثمانية أشهر حتى قتل الناس أنفسهم خوفا من أن يقعوا أسرى، وكان هانيبال حريصا على أن يستولي على طعامهم وملابسهم، ولكن إذا عرف أن من بينهم قائدا أو رجل دين فإنه يصر على دفنه مع عظيم الاحترام".[٣٦]

وتزداد الإثارة مع تصاعد المنحنى الدرامى للقص، ونجح أنيس في التخطيط لذلك، ثم صياغته ببراعة متناهية خاصة و(قماشة الحكي القصصية) مما يسمح بذلك:

"وتحركت قوات هانيبال، فعبرت جبال (البيرانيز)، بعد معارك عنيفة مع القبائل الفرنسية، ثم وقف هانيبال أمام نهر (الرون)، النهر واسع متدفق، استولى هانيبال على الزوارق، وصنع منها مئات لجنوده وللفيلة أيضا، ثم افتعل معركة لا ضرورة لها، وقتل من أعدائه عشرة آلاف، ثم وضع جثث أعدائه في النهر وسد بهم، وعبر بقواته فوقهم".[٣٧]

ووسط أجواء انتصار البطل القوي التي يحبها متفرج السينما عادة تبزغ العقدة وتتصاعد الأحداث إلى ذروة الأزمة.

"وأدرك الرومان بوضوح أن هانيبال لا يريد إلا روما، وأنه قرر أن يغزو إيطاليا من الشمال، وأنه اختار أصعب الطرق، ولا أحد يعرف الآن كيف وأين استطاع هانيبال بقواته الهائلة أن يعبر جبال الألب، ويقال: إنه نفذ من ممر (سان برنار)، وكان ضيقا جدا في ذلك الوقت، ويقال: إنه صعد بقواته فوق الجبال ورأى أنواعا عجيبة من العواصف الجليدية والانهيارات الثلجية حتى مات نصف جنوده، وماتت كل الفيلة من الجوع والبرد، فهي حيوانات تعيش على العشب الذى لا وجود له، وعلى الحرارة التي امتصتها السحب.

ولم يحدث في التاريخ أن انعزل قائد برجاله كما حدث لهانيبال، ولذلك كان هانيبال يقول: إنني وحدي مع القدر وحده، وإنني لا أحارب الرومان فقط، وإنما أحارب إله الحرب نفسه!".(٣٨)

وعندما تصل الأزمة إلى ذروتها فعلا ويتصور الناس أن بطلهم قد انتهى فما من سبيل، يبدأ المؤلف في تقديم أوراق إثارة جديدة، فما يزال في وقت اللعب متسع، وخاصة إن كان بطله بمثل ذكاء وتصميم وإرادة هذا السفاح هانيبال:

"وإذا كان القائد قليل العدد، ففي استطاعته أن يقهر من هو أقوى منه إذا لجأ إلى الحيلة، واهتدى إلى فكرة، لقد أتى هانيبال بمائة بقرة ولف القماش على قرونها، وأشعل فيها النار ليلا، وانطلقت الأبقار فى حقول القمح، وفوجئ الرومان بالنيران تجري في كل الاتجاهات، وبعيدان القمح تشتعل، وعندما وصلت النيران إلى قرون الأبقار أصيبت بالجنون وانطلقت في حالة من الرعب والفزع وسط قوات العدو، وهرب الرومان ليلا، قد جربها من قبل (شمشون) الجبار في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد في مدينة (غزة)، عندما أتى بثلاثمائة فأر، وربط ذيولها بعضها إلى بعض، وأشعل فيها النار، وأطلقها في حقول القمح فأحرقها كلها".(٣٩)

وينجح الكاتب والمخرج الأستاذ أنيس منصور بطريقته السينمائية هذه المرة، ينجح في إعادة المتفرج محب الإثارة والحركة إلى حالة الترقب والانتظار تشوقا واستمتاعا مرة أخرى إلى صالة العرض، نجح في هذا خلال الفقرة الماضية، ولكن لما كان السيناريو المتميز يحوي عقدا متوالية تصل إلى الذروة حيث اللاحل، ثم ينخفض المنحنى الدرامي بعد ارتفاع مثير، ينخفض بحل مفاجئ لا لينتهى بل ليبدأ ذروة أزمة جديدة تبحث عن تفريج محير، وهكذا .. لما كان ذلك كذلك، فقد نفذه أنيس منصور:

"ومن فوق التلال رأى هانيبال مدينة روما، ولم يدخلها، فقد جاءه من يحمل رسالة مفزعة، فقد تحرك الرومان ناحية قرطاجة يريدون احتلالها .. ولا أحد يعرف كيف عاد هانيبال".(٤٠)

ووقتما يسعد الجميع بالبطل الأسطوري، وقد رأوه في ساحة المعركة فجأة، ليس مهما كيف؟! لكنه حدث فى هذا الوقت خاصة، ووقتما انتظروا أن يقدم حلا من حلوله العبقرية مثلما عوّدهم من قبل، ينكسر البطل فجأة، هذا الانكسار الإنساني الذي يرتبط بالأسباب والظروف، فإذا كان هانيبال معجزة فى قوته الجسمية وتحمله وتصميمه وإرادته؛ فليس كل جنوده مهما بلغت شجاعتهم يصلون إلى هذا المستوى العبقري في كل شيء، كما أن الوصول إلى ساحة المعركة منهكا يساوي نصف الهزيمة، ينكسر توقع الجمهور المتابعين في صالة العرض السينمائي التي وضعنا أنيس منصور فيها من أول وهلة في قص حكاية هانيبال في رحلته التاريخية إلى روما ثم العودة.. ينكسر توقع الجمهور في انتصار لمزيد من آثارة وفقدان الجمهور لميزة القدرة على توقع ما سيحدث، وهذا من أصعب ألعاب الدراما تركيبا وتعقيدا، ولكن أنيس منصور ينفذه بحرفية عالية يساعده طبيعة القصة وثرائها .. ويصل فى النهاية إلى النهاية الحزينة الأقوى دراميا التي لا يحبها الناس، ولكنها هذه المرة ليست من صياغة المؤلف، بل القدر، بل هانيبال الذي كان أقوى من أن ينهزم فاختار نهايته بنفسه:

"ولما ضيق الرومان على هانيبال في كل مكان هرب إليه، مد يده إلى خاتم في إصبعه كان قد ادخر كمية من السم فيه، ثم شربها، ومات، وترك على الحائط هذه العبارة:

"إلى الرومان أعدائنا، لقد حاربتكم أربعين عاما، واليوم يموت آخر جندي في طابور الكراهية الأبدية لكم!".(٤١)

وكأن هانيبال هو الآخر كان سابقا لعصره، أستاذا في فن السينما أيضا؛ فأحسن الإنهاء السينمائي دراميا كأحسن ما يكون، وأقوى ما يكون!

ومن هانيبال إلى من هو في نظر بعض الناس أكبر جرما، ألا وهو واحد من تجار الرقيق الذين عملوا يوما بالبيع والشراء في إخوانهم من بني آدم ليس مهما من هو، فكلهم نموذج واحد، يبيع أي شيء من أجل المال، ولا يقولنّ أحد: وما أهمية التاريخ لرحلة كهذه؟! فهي إثبات لتاريخ الإنسان الأسوأ في حق المبادئ والقيم والشرائع والقوانين، ولا بد أن يثبت هذا

التاريخ؛ ليتعظ الإنسان ويعتبر، ويمنع أي محاولة لاستعباده بعد ذلك، مهما كان لونه أو كانت جنسيته أو كانت ديانته.

ويؤرخ أنيس منصور انطلاقا من هذا لأحد هؤلاء المتاجرين بالبشر، واحد من أكثرهم شراسة وعدوانية ودونية أخلاق:

"هذا الرجل هو الرحالة الإنجليزي (سير جون هوكنز)، ولكي أقدمه لك بسرعة وفى كلمات قليلة أقول: إنه أول تاجر للرقيق في بريطانيا، وهو يباهي الأمم الأوربية بأنه أول من كسر احتكار أسبانيا والبرتغال لتجارة الرقيق إلى أمريكا .. شرف عظيم جدا !!".(٤٢)

وعلى طريقة البداية من نقطة (توهج الحدث) يبدأ الكاتب مع بداية رحلته موضوع حديثنا:

"في نهاية عام ١٥٦٧م خرج هذا التاجر الإنجليزي بسفينته متجها إلى غرب إفريقيا؛ لعله يأتي ببضعة آلاف من العبيد، ولم يكد يقترب من الشاطئ الإفريقي حتى هبت عاصفة، العاصفة أغرقت خمس سفن ولم تبق معه إلا سفينة واحدة وغرق أكثر رجاله في الماء، وعادت إلى الشاطئ سفينته، وعاد مرة أخرى إلى غرب إفريقيا ثم سار بسفينته فى (داكار) ونزل رجاله، وكان ١٥٥ رجلا، وكانت التعليمات لديهم أن يجمعوا أكبر عدد ممكن من الزنوج عددهم الأطفال والنساء في الدرجة الأولى من الأهمية، والرجال فى الدرجة الثانية، والشيوخ لا ضرورة لهم.

وهبت عاصفة عنيفة جدا، وغرقت أربع سفن بها أكثر من ألفين من الزنوج وعشرات من البيض، ولم يحاول التاجر الإنجليزى إنقاذ أحد لا من البيض ولا من السود، فقد كان عصبيا، وكان من المؤمنين بالتشاؤم والتفاؤل، وكان يعتقد أن واحدا من بين رجاله هو مصدر التشاؤم أو النحس، قال بصراحة، وقال إنه لو كان الأمر بيده لأغرق رجاله جميعا".(٤٣)

ونجح أنيس منصور كما ترى في صنع دوائر من الإثارة تتشابك كحلقات السلسلة واحدة وراء الأخرى وتتشابك فيجذبك بها واحدة وراء الأخرى بحيث قد استسلمت تماما بتوالى القص..

"ولكن التاجر الإنجليزى تنبه إلى أن عدد الزنوج ليس كافيا، فعاد إلى الشاطئ مرة أخرى، ونزل هو ورجاله يوم: ٢١ يونيو سنة ١٥٦٨ م، وقرر أن يقوم بحملة واسعة لصيد أكبر عدد ممكن وتصدى له ملك هو أحد شيوخ القبائل، يقال له: (ملك الأشواك الحمراء)، وتم التفاهم بين الاثنين على محاصرة قبائل أخرى، وكانت خطة التاجر الإنجليزي أن يتعاون مع الملك ثم يلقي القبض عليه هو ورجاله أيضا.

وعلى مدى عشرة أيام سقط قتلى وجرحى وأسرى، وبلغ عدد الغنائم أكثر من ٥٠٠ من النساء والرجال والأطفال، أما الرجال البيض فقد أحرقوا البيوت المصنوعة من سعف النخيل، ومات منهم أربعة وجرح أربعون، أما الملك فقد هرب ومعه رجل أبيض، ويقال: اثنان، ولم يعثر لهما على أثر بعد ذلك، وحاول التاجر الإنجليزي أن يستردهما، ولكن قلبه لم يطاوعه فى أن يضيع هذه الغنائم من أجل اثنين من البيض".(٤٤)

وهكذا تثبت لك المواقف موقفا بعد الآخر أن هذا التاجر الإنجليزى لا انتماء له لا للون، ولا لديانة، ولا لجنسية، فمن فرط فيهما ههنا هما من نفس بلده التي منحته أعلى الأوسمة بما في ذلك من تأييد ملكي لما يفعل، وهما أيضا من نفس لونه وديانته، وكذلك كان السابقون الذين غرقت سفنهم في البداية، ولم تهتز شعرة منه لفقد واحد منهم، ولم يحاول البحث عن واحد منهم، بل انشغل خوفا على نفسه التى كانت وقتها بخير حال، انشغل خوفا على نفسه من الفأل السيء الذي كان يخافه، وهو الذي تهز له قلوب البشر من سود وبيض للرحمة التي لا يعرف حتى أبجديتها الأولى، ولا فطرة منها لديه، وبالتالي لا يطبقها!

"وبالقرب من جزر كوبا قرر التاجر الإنجليزي إصلاح سفنه، ورست السفن، وقبل أن ترسو السفن قيد الأسرى بالحبال والسلاسل، وقبل أن يهبط رجاله إلى الأرض أمسك واحدا من الزنوج وقطع ذراعه اليمنى، ثم اليسرى، والزنوج يصرخون، وبعد ذلك ربطه بحبل، وفي الحبل حجر كبير، وألقى به فى الماء، لعله يريد أن يقول: إنه سوف يفعل ذلك مرة أخرى و ٥٦٧ مرة، عدد الأسرى من الزنوج، إذا حاول واحد منهم الهرب، ولم يهرب واحد منهم، وفي الليل فوجئ بواحد من رجاله قد هجم عليه في غرفته وفي يده سكين، يقول سير جون هوكنز: وكانت لحظة لا توصف، إنه واحد من رجالي، أنا الذي أتيت به من الريف،

وأعطيته الكثير، وجعلت منه شيئا هاما، لم أصدق عيني، ونظرت إلى الكأس التي أمامي، كانت فارغة جافة، ومعنى ذلك أنني لم أشرب بعد، لست مخمورا، إذن ما هذا الذى أمامي، واحد من أعز رجالي، ماذا يريد مني؟ أن يقتلني؟ لماذا؟ هل أخطأ الطريق إلى واحد آخر غيري؟ وبسرعة أطحت بالكأس في وجهه، فنزف الدم منه فورا، ولكنه ظل في مكانه، وتخيلت أن وراءه رجالا آخرين من البيض ومن السود، وقلت له: ماذا جرى لك؟

قال: أريد أن أهبط إلى الشاطئ، ولا أعود.

فقلت: أهبط ولا داعي لأن تعود.

قال: وأريد ثلاثة آخرين معي.

قلت: خذ ثلاثة أو خمسة.

قال: وعشرة من السود.

ويقول التاجر الإنجليزي في مذكراته ولم أنم تلك الليلة، لا خوفا منه أو من أحد، ولكن حزنا على الموقف، فهذا الرجل أحسنت إليه كثيرا، وغيرت بعض مبادئي، قلت: خذهم. لا داعي لأن تحسن إلى أحد، أي أحد، ومن الآن فصاعدا".(٤٥)

ويتعجب الإنسان ويحار بالفعل فمن يغالط هذا (الأفعى)؟! وهل هو يصدق نفسه فيما سبق؟! فأي إحسان وأي مبادئ هذه التي يتكلم عنها سفاح مثله؟! إنها من أسوأ صفحات الجرائم الإنسانية التي صنعها الإنسان في حق أخيه ليس اضطرارا، ولكن طمعا للأسف.

نتائج البحث:

أنيس منصور ليس اسم لكاتب أو صحفي عادي بل كان موسوعة في نفسه، له إسهامات في اتجاهات أدبية مختلفة، يظهر لون الفكاهة والسخرية في كتاباته، لغته سهلة بسيطة، قد يستعين حسب مقتضى الحال باللغة الدارجة المصرية كي يجذب قلوب القارئين معه، يملك أسلوبا رائعا مبدعا في كتاباته، يلاحظ المشاهد بمنظار خاص ويلخصها ببضعة سطور، فمن ميزاته هضم آلاف من الصفحات، حتى قال عنه عميد الأدب العربي الحديث د.

طه حسين: أنه أكبر قارئ بمصر وبالبلاد العربية على الإطلاق،[٤٦] ولغته هي أهم سلاح وآلة لاصطياد قلوب القارئين، حتى قال فيه الدكتور محمود تيمور: أن لغته هي الجيوكندية.[٤٧]

أعجب الرحلات في التاريخ رحلة سردية ملخصة لرحلات قديما وحديثا، إسهام رائع ممتع يلون بلون السيرة والقصة والحكاية والمسرحية، قد ذكر الأستاذ أنيس منصور تاريخ الأمم وألقى الضوء على المجتمعات العديدة التاريخية والحديثة، أعرض عن اللغة العامية، وأدرج فيها معلومات تاريخية كثيرا، فهذه الرحلة هي صورة في ملف واحد لأقوام العالم. عناوين الكتاب مثيرة ورائعة جدا، كل صفحة في الكتاب درسٌ وتاريخٌ وسيرةٌ في نفسها.

الهوامش

(١) عبد الدائم، يحيى إبراهيم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي حتى القرن الثامن عشر، ص: ٢١٣، دار المعارف العربية – القاهرة، د، ت.

Abdu Al-Dāʾim, Īaḥīa Ībrāhīm, Al-Tarǧamaẗ Al-Ḏātīaẗa Fī Al-ʾadab Al-ʿarbī Ḥatta Al-Qarn Al-Ṯāmin ʿašar, P: 213.

(٢) أخبار اليوم – حوار مع الشاب – بتاريخ: ٢٠ – ١٠ – ٢٠٠١ م، منصور، أنيس: عاشوا في حياتي، ص: ١٩، المكتب المصري الحديث – القاهرة، ط/١، وأيضا: أميابي، علي: رواد أعلام الدقهلية، ص: ١٣٧-١٤٣، مكتبة الإيمان – القاهرة، ط: ١٩٩١م.

Aẖbār Al-Īaūm – Ḥiwār Mʿ Al-Šāb: 20 – 10 – 2001.
Manṣūr, Anīs: ʿāšūā Fī Ḥaīātī, P: 19.
Amīābī, ʿAlī: Ruwād Āʿlām Al-Diqhalīah, P: 137 – 143.

(٣) منصور، أنيس: من نفسي، ص: ١٧٣، دار النهضة للنشر – الجيزة، مصر، ط: ٢، ٢٠١٠ م.

Manṣūr, Anīs: Min Nafsī, P: 173.

(٤) حامد، د. السيد: قراءة بدوي لابن خلدون –كتاب نجم في سماء الفلسفة – مقالات المتعددين، ص: ٢٢٣، الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة، ط: ١، ١٩٩٧م.

Hāmid, Al-Saīd: Qerāʾaẗ Badawi Libne ẖaldūn – Kitāb Naǧm Fī Smāʾ Al-Falsafah – Mqālāt Al-Mutaʿdedīn, P: 223.

(٥) منصور، أنيس: غريب في بلاد غريبة، ص: ٩، دار الشروق – القاهرة، ط: ٢، ١٩٧٨م.

Manṣūr, Anīs: Garīb Fī Bilāden Ġarībah, P: 9.

(٦) منصور، أنيس: حول العالم في ٢٠٠ يوم (مقدمة)، ص: ١٠، دار المعارف– القاهرة، ط: ٢٢، ٢٠١٠ م.

Manṣūr, Anīs: Haūla Al-ʿālam Fī 200 Īaūm (Muqdemah), P: 10.

(٧) فوزي، محمود: القلق والاغتراب والقدرية، ثلاثية أنيس منصور، ، ص: ٦٠، المكتب المصري الحديث– مصر، ط:١، يناير ١٩٨٦م.

Fūzī, Maḥmūd: Al-Qalaq Wāl Iġterāb Wālqadarīah, Ṯulāṯīah Anīs Manṣūr, P: 60.

(٨) حول العالم في ٢٠٠ يوم، مقدمة بقلم: محمود تيمور، ص: ٣٠.

Haūla Al-ʿālam Fī 200 Īaūm (Muqademah), P: 30.

(٩) منصور، أنيس: أعجب الرحلات في التاريخ، ص: ٤، دار نهضة مصر للنشر – الجيزة، مصر، ط: ١٩، يناير ٢٠٢٠ م.

Manṣūr, Anīs: Ajabu Al-Riḥlāt Fī Al-Tārīẖ, P: 4.

(١٠) المرجع نفسه، ص: ٥١٥ – ٥٣٠.

Ibid, P: 515-530.

(١١) المرجع نفسه، ص: ٥٣١ – ٥٣٢.

Ibid, P: 531-532.

(١٢) المرجع نفسه، ص: ١٥.

Ibid, P: 15.

(١٣) المرجع نفسه، ص: ١٦.

Ibid, P: 16.

(١٤) المرجع نفسه، ص: ١٦ – ١٧.

Ibid, P: 16-17.

(١٥) المرجع نفسه، ص: ١٧.

Ibid, P: 17.

(١٦) المرجع نفسه، ص: ١٩.

Ibid, P: 19.

(١٧) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

Ibid.

(١٨) المرجع نفسه، ص: ٢٠.

Ibid, P: 20.

(١٩) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

Ibid.

(٢٠) حسن، العلامة سليم: موسوعة (مصر القديمة)، ص: ٤٥، مطبعة جامعة القاهرة– الجيزة، ط: ١، ١٩٥٥ م، وليراجع إلى: عبد الكريم، الأستاذ: لغز الحضارة المصرية، ص: ١٠٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، ط: ١، ١٩٩٦م.

Ḥasan, Salīm: Maūsūʿt (Miṣr Al-Qadīmah), P: 45.
Al-Āustāḏ, ʿAbdu Al-Karīm: Luġzu Al-Ḥaḍārat Al-Meṣrīah, P: 106.

(٢١) أعجب الرحلات في التاريخ، ص: ٦٠.

Ajabu Al-Riḥlāt Fī Al-Tārīḫ, P: 60.

(٢٢) المرجع نفسه، ص: ٦١.

Ibid, P: 61.

(٢٣) المرجع نفسه، ص: ٦٤.

Ibid, P: 64.

(٢٤) المرجع نفسه، ص: ٦٥.

Ibid, P: 65.

(٢٥) المرجع نفسه، ص: ٦٩.

Ibid, P: 69.

(٢٦) المرجع نفسه، ص: ٥٤.

Ibid, P: 54.

(٢٧) المرجع نفسه، ص: ٥٦.

Ibid, P: 56.

(٢٨) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

Ibid.

(٢٩) المرجع نفسه، ص: ٣٩.

Ibid, P: 39.

(٣٠) المرجع نفسه، ص: ٤٤.

Ibid, P: 44.

(٣١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

Ibid.

(٣٢) المرجع نفسه، ص: ٢٧.

Ibid, P: 27.

(٣٣) المرجع نفسه، ص: ٢٩.

Ibid, P: 29.

(٣٤) المرجع نفسه، ص: ٣١.

Ibid, P: 31.

(٣٥) المرجع نفسه، ص: ٤٠١.

Ibid, P: 401.

(٣٦) المرجع نفسه، ص: ٤٠٢.

Ibid, P: 402.

(٣٧) المرجع نفسه، ص: ٤٠٢ – ٤٠٣.

Ibid, P: 402-403.

(٣٨) المرجع نفسه، ص: ٤٠٥.

Ibid, P: 405.

(٣٩) المرجع نفسه، ص: ٤٠٥ – ٤٠٦.

Ibid, P: 405-406.

(٤٠) المرجع نفسه، ص: ٤٠٦.

Ibid, P: 406.

(٤١) المرجع نفسه، ص: ٤٠٧.

Ibid, P: 407.

(٤٢) المرجع نفسه، ص: ٤٤٩.

Ibid, P: 449.

(٤٣) المرجع نفسه، ص: ٥٠١.

Ibid, P: 501.

(٤٤) المرجع نفسه، ص: ٥٠٢.

Ibid, P: 502.

(٤٥) المرجع نفسه، ص: ٥١٠.

Ibid, P: 510.

(٤٦) حول العالم في ٢٠٠ يوم، مقدمة بقلم: د. طه حسين، ص: ١٣.

Haūla Al-ʿālam Fī 200 Īaūm (Muqademah), P: 13.

(٤٧) المرجع نفسه، مقدمة بقلم: محمود تيمور، ص: ٢٨.

Ibid, P: 28.